مسؤولية علماء الأمة في مواجهة
التحديات المعاصرة في ضوء القرآن الكريم

بحث مقدم للمشاركة في

مؤتمر تداعيات انحسار المد الإسلامي وأولويات العمل

الذي تنظمه كلية الشريعة بجامعة جرش الأهلية بالأردن

خلال الفترة من ١٩ – ٢١ شوال ١٤٢٦هـ

ضمن المحور الثالث للمؤتمر

(مسؤولية الأمة الإسلامية في مواجهة التداعيات)

إعداد

د. يحيى بن محمد حسن زمزمي

الأستاذ المشارك بكلية الدعوة وأصول الدين

جامعة أم القرى – مكة المكرمة

١٤٢٦هـ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تمهيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه :

وبعد: فلا شك أن الواقع المؤلم الذي تعيشه الأمة الإسلامية يستوقف كل غيور ، ويثير اهتمام كل مسلم صادق ، فالأمة الوسط التي كتب الله لها ريادة العالم ، وجعل رسالتها خاتمة الرسالات ، قال تعالى :[وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً][1] ، هذه الأمة بهذه المواصفات لا يليق بها إلا أن تكون في موقع القيادة ، حتى تشهد بين يدي ربها على العالمين أجمعين .

لكن اعترى الأمة آفات وأدواء ، أخَّرت مسيرتها ، وأضعفت أثرها ، وطرأت عليها التحولات والتغيرات في النواحي الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها ، فاستدعى الأمر مراجعة دقيقة وإصلاحاً شاملاً وعلاجاً سريعاً ، حتى تعود الأمور إلى نصابها .

ومن هنا جاء مؤتمر :(تداعيات انحسار المد الإسلامي وأولويات العمل) الذي تنظمه كلية الشريعة في جامعة جرش الأهلية بالأردن ، ليسهم في المراجعة والحل والإصلاح بإذن الله .

وقد رأيت أن أشارك في فعالياته ببحث مختصر ، اخترت أن يكون عنوانه :

" مسؤولية علماء الأمة في مواجهة التحديات المعاصرة في ضوء القرآن الكريم "

وذلك ضمن المحور الثالث للمؤتمر وهو :(مسؤولية الأمة الإسلامية في مواجهة التداعيات) .

وأردت من خلاله أن أضع يدي على جزء مهم –في نظري- من العلاج ، وهو (العلم الشرعي والعلماء الربانيون) ، فنحن أمة العلم والإيمان والنور الهدى ، وتفوُّقنا على الأمم ، وتميُّزُنا على الآخرين ، وتقدُّمنا على مر الأزمان ، لم يكن بالقوة المادية أو العسكرية أو الاقتصادية ونحوها ، إنما كان انتصارنا بما كانت تحمله القلوب من الإيمان العميق ، وما تدركه العقول من العلم الصحيح ، وما أنتجاه من عمل في واقع الحياة .

ولذا فقد تضمن البحث دراسة النقاط الآتية :

أولاً: مقدمة وتعريفات .

ثانياً: أهمية العلم الشرعي في القرآن الكريم .

---

(١) البقرة: ١٤٣ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثالثاً: أبرز التحديات المعاصرة وتقويمها في ضوء القرآن الكريم .

رابعاً: مسؤولية العلماء كما يصورها القرآن الكريم .

خامساً: الخاتمة والتوصيات .

فأسأل الله أن يجزي القائمين على المؤتمر خير الجزاء ، وأن يبارك جهودهم ويسدد خطاهم وأن ينفع بهم الإسلام والمسلمين ، إنه سميع مجيب .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أولاً: مقدمة وتعريفات :

أ) المقدمة :

الحمد لله الذي جعل دين الإسلام خاتم الأديان ، وأرسل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم آخر نبي في الزمان ، وأنزل عليه أفضل الشرائع في القرآن ، والصلاة والسلام على النبي المصطفى ، والإمام المجتبى ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .. وبعد:

فإن الأمة الإسلامية اليوم تمر بمرحلة عصيبة ، تتسم بكثرة الأطروحات ، وتسارع الأحداث والمستجدات ، مع انفتاح عالمي كبير ، وتسلط الأعداء وتحكمهم في كثير من الأمور، مما أدى إلى اضطراب الأفكار وحيرة الأذهان ، في ظل هذه المتغيرات والتداعيات .

ومما لا شك فيه أن المخرج من هذه الأزمات ، والمنقذ من هذه الملمّات ، هو الرجوع الصادق إلى المنهج الرباني ، والهدي الشرعي ، المتمثل في القرآن والسنة ، ذلك أن الخالق العليم سبحانه وتعالى الذي خلق العباد ، هو أعلم بما يصلح حالهم في الدارين ، قال تعالى :[ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير][1] ، وقد أرشدهم في آياته المحكمة إلى سبيل النجاة الوحيد ، وطريق الخلاص الفريد ، فقال تعالى :[وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون][2] .

كما ضمن الشرع المطهر للسائر على نهجه الحكيم ، عدم الزيغ والضلال ، مهما كانت الظروف والأحوال ، فقد قال الذي لا ينطق عن الهوى : e :(تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتي)[3] .

وهذا المنهج الأصيل يقوم على العلم الشرعي ، الذي يحمله العلماء الربانيون ، الذين بهم حفظ الله الدين ، وأقام الملة ، فعاشت الأمة الإسلامية حيناً من الدهر ، متماسكة في كيانها، قوية في بنيانها ، مستمسكة بأصولها الشرعية وثوابتها القطعية ، رغم ما حيك ضدها من الكيد والمكر والمؤامرات ، فكان أثر العلماء بارزاً في حفظ كيانها ، وإعادة التمكين لها ، أمام تلك الهجمات والتداعيات .

وهذا البحث الموجز في عباراته ، المهم في موضوعه ، يهدف إلى تجلية مسؤولية علماء الأمة وبيان الواجب المنوط بهم ، والأمانة التي حمّلوها شرعاً ، لمواجهة التحديات والمستجدات، كما يصورها القرآن الكريم .

أسأل الله تعالى أن يسدد الكلمات ، ويصوب العبارات ، وأن يهدينا سواء السبيل .

---

(١) الملك: ١٤ .
(٢) الأنعام: ١٥٣ .
(٣) أخرجه الحاكم وقال صحيح الإسناد (انظر صحيح الترغيب: ٢١/١) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ب) تعريفات :

نظراً لأن عنوان الورقة :(مسؤولية علماء الأمة في مواجهة التحديات المعاصرة في ضوء القرآن الكريم)

فإن هذا العنوان يتضمن المفردات الآتية :

المسؤولية - العلماء - الأمة - التحديات

وبيانها على النحو الآتي :

١) المسؤولية :

ومادتها (سول) و (سأل) ، فالأولى تدور على معنى : الطلب ، والمسؤول: المطلوب[١] ، ومنه قوله تعالى :**[** إن العهد كان مسئولاً **]**[٢] ، قال الطبري :(وإنما عني بذلك أن العهد كان مطلوباً)[٣] .

والثانية من السؤال وهو : استدعاء معرفة ، أو ما يؤدي إلى المعرفة ، وهو يكون للاستعلام أو للتبكيت أو تعريف المسؤول وتنبيهه[٤] .

وعليه فالمسئولية هي (ما يطلب فعله ، ويسأل عنه) .

٢) العلماء :

ومادة الكلمة من (العِلْم) ضد الجهل ، وهو: اليقين والمعرفة[٥] ، وإدراك الشيء بحقيقته[٦] . أو هو (الاعتقاد الجازم المطابق للواقع)[٧] . والعلماء جمع عالِم –بالكسر- وهو الذي اتصف بالعِلْم .

٣) الأمة :

وأصل مادتها (أمّ) بمعنى قصد[٨] ، والأمة: كل جماعة يجمعهم أمر إما دين واحد ، أو زمان واحد ، أو مكان واحد ، سواء كان ذلك الجامع تسخيراً أو اختياراً ، وجمعها : أمم[٩]، قال تعالى :**[** وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم **]**[١٠] .

---

(١) انظر: المصباح المنير: ص١١٣
(٢) الإسراء: ٣٤ .
(٣) تفسير الطبري: ٨/ ٧٨ .
(٤) انظر المفردات : ص٤٣٧ .
(٥) المصباح المنير: ص١٦٢ .
(٦) المفردات: ص٥٨٠ .
(٧) التعريفات: ص١٥٥ .
(٨) المصباح المنير: ص٩ .
(٩) المفردات: ص٨٦ ، وانظر الصحاح : ٥/ ١٨٦٤ .
(١٠) الأنعام: ٣٨ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٤) التحديات :

وأصل مادتها (حدد) ، وهي تدل على الفصل والمنع[١] ، والمقصود بها العقبات التي تمنع من تحقق المطلوب وتحول دونه .

ثانيا : أهمية العلم الشرعي في القرآن الكريم :

لقد جاءت النصوص القرآنية الكثيرة التي تؤكد أهمية العلم الشرعي وتبين منزلة أهله وفضلهم وعلو مكانتهم عند الله تعالى ، وعظيم نفعهم للناس ، وشدة الحاجة إليهم ، ومما يدل على هذه الأهمية والمكانة أن مادة (ع ل م) جاءت في القرآن الكريم في (٧٨٩) موضعاً ، أما لفظ (العلم) فقد تكرر في القرآن الكريم في (١٠٥) مواضع[٢] ، وجاء على أنحاء متعددة ، منها ما يلي :

١ - الأمر بالعلم ، والحث عليه :

ومن النصوص القرآنية في ذلك قوله تعالى :**[** فاعلم أنه لا إله إلا الله **]**[٣] : وهي تدل على أن العلم مقدم على العمل ، إذ لا سبيل إلى صلاح الأعمال والهداية للصواب فيها بدون العلم الصحيح الذي يسبقها ، ولذا بوّب الإمام البخاري[٤] -رحمه الله- في صحيحه بقوله :(باب العلم قبل القول والعمل)[٥] وأورد الآية المتقدمة آنفاً .

ومنها النصوص الكثيرة التي تبدأ بقوله تعالى :**[** اعلموا **]** ونحوها كقوله تعالى :**[** اعلموا أن الله يحي الأرض بعد موتها **]**[٦] ، وقوله :**[** واعلموا أن الله مع المتقين **]**[٧] ، وقوله :**[** فاعلموا أن الله مولاكم **]**[٨] .

٢ - رفع شأن العلماء :

ومن الآيات في هذا قوله تعالى :**[** يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات **]**[٩] .

---

(١) المصباح المنير: ص٤٨ .
(٢) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن : ص٤٦٩-٤٨٠ .
(٣) محمد: ١٩ .
(٤) هو أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، أمير المؤمنين في الحديث، صاحب الصحيح، توفي سنة ٢٥٦هـ ، (انظر: السير: ١٢/ ٣٩١ ، تهذيب التهذيب: ٩/ ٤٧) .
(٥) فتح الباري: ١/ ١٥٩ .
(٦) الحديد: ١٧ .
(٧) التوبة: ٣٦ .
(٨) الأنفال: ٤٠ .
(٩) المجادلة: ١١ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقوله تعالى :[قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب][١] والمعنى: أنهم لا يستوون[٢] .

وقوله أيضاً :[إنما يخشى الله من عباده العلماءُ][٣] ، فقد جعلهم الله تعالى هم أهل خشيته ، وكفى بذلك رفعة ومكانة .

ومن رفعة شأنهم أن الله قرن شهادته وشهادة ملائكته بشهادتهم كما في قوله عز وجل :[شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط ....][٤] الآية .

٣ - العلم صفة الأنبياء والمرسلين :

فقد وردت الآيات الكريمة التي تبين أن العلم هو صفة نبينا محمد e خاصة ، وهو صفة الأنبياء عامة ، فمما جاء في شأن النبي e خاصة قوله تعالى :[ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون][٥] ، وقوله :[فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ....][٦] الآية ، وقوله :[ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ....][٧] الآية .

- ومما جاء في وصف الأنبياء بالعلم : قوله تعالى حكاية عن يوسف u :[قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم][٨] ، وقوله تعالى :[ولقد آتينا داود وسليمان علماً ....][٩] الآية ، وقوله عن موسى u :[ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين][١٠] ونحوها .

٤ - العلم صفة المؤمنين العارفين الراسخين الذين يثبتون عند الشدائد والمحن ، ويبصّرون الناس في الابتلاءات والفتن ، حيث يعصمهم الله من الزيغ والشك والضلال بفضل العلم الذي يحملونه ، ومن دلائل ذلك :

---

(١) الزمر: ٩ .
(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ٤٧ .
(٣) فاطر: ٢٨ .
(٤) آل عمران: ١٨ .
(٥) البقرة: ١٥١ .
(٦) آل عمران: ٦١ .
(٧) البقرة: ١٢٠ .
(٨) يوسف: ٥٥ .
(٩) النمل: ١٥ .
(١٠) القصص: ١٤ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قوله تعالى :[إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين][١] .

ومثلها قوله تعالى :[وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم ....][٢] الآية .

وقوله أيضاً :[وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً][٣] ، وقوله تعالى :[ويرى الذين أوتوا العلم الذين أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد][٤] .

فالمتأمل في هذه الآيات يتبين له بجلاء أن العلم يعصم أهله من الزيغ والحيرة -بعد توفيق الله- وأن حملة العلم يحفظون للناس دينهم ويردونهم إلى الحق والهدى ، وذلك شأنهم على مرّ العصور والدهور ، فإن الله عز وجل أخبرنا عن حال العلماء الصادقين من أهل الكتاب وكيف هداهم علمهم إلى الحق والصواب ، كما جاء في قوله تعالى :[لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ....][٥] الآية ، ومثله ما جاء في قوله عز وجل :[قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ...][٦] الآية .

وهذا الدور المشار إليه في الآيات عن علماء أهل الكتاب ، هو نفسه وأكثر منه مطلوب من علماء هذه الأمة الخاتمة .

---

(١) البقرة: ٢٦ .
(٢) الحج: ٥٤ .
(٣) النساء: ٨٣ .
(٤) سبأ: ٦ .
(٥) النساء: ١٦٢ .
(٦) الإسراء: ١٠٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثالثاً : أبرز التحديات المعاصرة وتقويمها في ضوء القرآن الكريم :

لا شك أن المرحلة التي تعيشها الأمة الإسلامية اليوم مرحلة عصيبة ، تقف فيها على مفترق طرق ، وتحيط بها المخاطر من كل مكان ، ولعلي في هذه الفقرة أشير باختصار إلى أبرز التحديات والمخاطر والعقبات التي تواجهه الأمة ، وأترك ذكر تحديات كثيرة لأنها في نظري ترجع إلى ما أوردته مما يلي :

١ - **الهجوم على ثوابت الدين ومحكماته ، والتشكيك في أسسه ومسلماته** ، من قبل أعداء الإسلام ، من الكفرة والمشركين ، ومن المنافقين والمغرضين ، مما لم تشهد الأمة له مثيلاً في سالف عصورها ، رغم ما مرّ على المسلمين من عصور الضعف وتكالب الأعداء واحتلال بلادهم ، إلا أن كيد أعدائها تركّز غالباً في الهجوم العسكري ، أو إحداث الفتن والقلاقل أو استغلال نقاط الخلاف بين المسلمين لإثارة العداوات وتأجيج الصراع ، كما فعل المنافقون وبعض من تلبس بالإسلام كعبدالله بن سبأ اليهودي ومن شاكله ، إلا أن الأمة تجاوزت تلك المحن العظيمة –بعد توفيق الله لها- بفضل تمسكها بدينها ، ورجوعها إلى أصولها وثوابتها ، المحفوظة بحفظ الله لكتابه وسنة نبيه e ، ثم قيام علمائها من الصحابة وأتباعهم بواجبهم الشرعي في التصدي لذلك الكيد حتى رد الله كيد عدوهم .

¥ لكن ما تواجهه الأمة اليوم من الكيد يستهدف إضعاف عقيدتها ، وتضييع هويتها ، وسلخها من مبادئها ، لأن أعداء الإسلام فطنوا إلى السر في قوة المسلمين ، وهو هذه العقيدة وتلك الثوابت ، التي لا تقبل المساومة لدى عامة الأمة فضلاً عن علمائها ومفكريها .

- ومن أمثلة هذه الكيد ونماذجه المعاصرة :

¥ دعوى أن نصوص القرآن والسنة إنما جاءت لحل مشكلات مؤقتة وقد انتهت ولا سبيل إلى أعمال هذه النصوص في العصر الحاضر[١] .

¥ دعوى أن النص القرآني يحق لكل أحد يفسره ويفهمه بما يمليه عليه عقله وهواه ، دون أي ضابط في ذلك .

¥ دعوى أنه لا فرق بين الإسلام وغيره من الأديان ، ولا ينبغي عداوة أهل الأديان الأخرى، والدعوة إلى تقارب الأديان وحوار الحضارات ونحوها .

¥ زعمهم أن تنحية الشريعة الإسلامية ، وإحلال النظم الوضعية مكان حكم الله تعالى ، كلياً أو جزئياً ، أمر سائغ ويقبل النظر والاجتهاد .

---

(١) انظر: "تاريخية النص القرآني" ص: ٣٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى غير ذلك من الدعوات التفصيلية في مجالات شتى ، كالشبهات التي تطرح حول قضية المرأة ، أو الأحوال الشخصية ، أو الشؤون الاقتصادية ونحوها .

- ولقد حذر القرآن الكريم أتباع هذا الدين القويم ، من أولئك الذين يشكّكون ويتشككون ، ويبغون الفتنة في الدين وصرف الناس عن منهج رب العالمين ، فقد قال جل شأنه :[هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب][1] .

فهذه الآية الكريمة تبين بجلاء أن هناك محكمات ومسلمات وقطعيات ، لا تقبل الجدل ولا الخلاف وهي أصول هذا الدين وقواعده ، وقد سماها الله (أم الكتاب) ، كما أن هناك أموراً متشابهة وقضايا مسكوت عنها لحكمة يريدها الشارع ، ورحمة بالأمة ، كما قال النبي e :(إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها ، وحرّم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها)[2] .

وتوضح الآية: أن دعاة الزيغ والضلال ، يتتبعون هذا المتشابه طلباً للفتنة وإثارة للشبهات وتشكيكاً للناس في دينهم ، وهؤلاء حذرنا منهم رسولنا e حين قال :(إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه ، فأولئك الذين سمى الله ، فاحذروهم)[3] .

٢ - **افتتان كثير من المسلمين بعدوّهم فيما يسمى بالحضارة الغربية** ، مما أدى إلى انسلاخ بعضهم من دينه والتنكر لأحكامه ، وانبهار البعض الآخر بالتقنية والتكنولوجيا الحديثة التي يمتلكها الغرب ، فأصبح يتلقى –مع وسائل التقدم- المفاهيم والقيم حتى وإن كانت تصطدم مع مبادئ الشريعة وأحكامها ، وهذا التحدي من أخطر التحديات وأفتكها في كيان الأمة ، إذ ينتج عنه تمييع المفاهيم وتذويب القيم وضياع الهوية ، ويقوم به أبناء الأمة أنفسهم ، نيابة عن عدوهم الخارجي ، وهذا الاتجاه له أسبابه التي وضحها القرآن الكريم محذراً لنا ومنذراً ، **فمن أبرز أسبابه** :

---

(١) آل عمران: ٧ .
(٢) أخرجه الدارقطني ، وحسنه النووي ، انظر (الأربعين النووية : ص٧٩ ، مشكاة المصابيح: ١/ ٦٩) .
(٣) أخرجه الطبري في تفسيره: ٣/ ١٧٩ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أ) الهزيمة النفسية والشعور بالضعف والذلة ، وبالتالي السعي إلى طلب العزة والمنعة من العدو القوي ، ولقد رد القرآن على هؤلاء بما جاء في قوله عز وجل :[الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً][١] .

ب) التردد والتذبذب وضعف اليقين بمنهج هذا الدين وعدم التسليم لحكم الله ورسوله e ، والظن بأن ما عند أولئك الكفرة من العقائد والقيم والمفاهيم ، مقارب لما في ديننا أو يساويه ، وعليه فيرى إمكانية الجمع والتوفيق بين المنهجين ، والسير على الطريقين ، ولسان حال هؤلاء يصوّره القرآن الكريم في قوله تعالى :[فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً ¥ أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً][٢] .

ج) التخوف من الخصم القوي ، مما يؤدي إلى المسارعة فيه ومحاولة كسب رضائه ، وهذا قريب من حال الذين قال الله فيهم :[فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين][٣] .

٣ - تسلط الأعداء عسكرياً واحتلالهم السافر لعدد من بلاد المسلمين بمجرد الشبهة والتهمة، واعتزازهم بالتفوق المادي ، والسعي إلى إذلال دول الإسلام ، حتى تسير في ركبهم ، وتنفّذ مطالبهم ، مع تداعي قوى الكفر جميعها لمواجهة المد الإسلامي ، وذاك مصداق قول النبي e :(يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، قيل أمن قلة نحن يا رسول الله . قال: إنكم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ..)[٤] الحديث .

- وهذا التحدي له أثره الكبير في انكسار كثير من النفوس المسلمة ، وشعورها بشيء من الإحباط ، نظراً لهوانها وقلة حيلتها ، وهذا الشعور وحده يعتبر معوقاً لابد للأمة أن تتجاوزه ، فرغم عظم هذا التحدي وخطورته ، إلا أن تاريخ المسلمين يشهد بأنه حالة مؤقتة ، مرت مثيلاتها على دول الإسلام في بعض فترات التاريخ ، ولكن سرعان ما تتكشف غمتها ، وتعود الأمة إلى عزتها ، ويكون الأمر كما قال تعالى :[والعاقبة للمتقين][٥] ، وكما قال سبحانه

---

(١) النساء: ١٣٩ .
(٢) النساء: ٦٢-٦٣ .
(٣) المائدة: ٥٢ .
(٤) أخرجه أبو داود (٤٢٩٧) ، وأحمد: ٥/ ٢٧٨ ، وصححه الألباني في سلسلة برقم ٩٥٨ .
(٥) القصص: ٨٣ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

:[ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً][١] ، ذلك أن مقياس انتصار المسلمين ليس هو القوة المادية أو العسكرية ، كلا بل إن كثيراً من الغزوات والمعارك التي انتصر فيها الحق، كان المسلمون فيها هم الأقل عدداً وعدة ، كما أن انتصار المبادئ والثبات عليها أعظم من الانتصار المادي ، بل هو الانتصار الحقيقي[٢] .

وهذا ما تشهد له النصوص القرآنية والمواقف التاريخية ، فسحرة فرعون لما عرفوا الحق وآمنوا به ، رخص في سبيله كل شيء حتى أنفسهم التي بين جنوبهم ، فوقفوا بعزة وثبات ، في مواجهة الطاغية الجبار ، الذي يزعم أنه إلههم وربهم ، ولنتأمل هذه الآيات الكريمات :[فألقي السحرة سجداً قالوا آمنا برب هارون وموسى ¥ قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الله علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى ¥ قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا ¥ إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى][٣] .

- ويشابه هذا النموذج العجيب : قصة أصحاب الأخدود ، الذين آمنوا برب الغلام ، ذلكم الصبي الذي قدم نفسه وروحه ، في سبيل أن يؤمن الناس بربهم ويعرفوا خالقهم ، فدلّ الملك الظالم على طريقة قتله ، التي كانت سبباً في إيمان الناس ، ومن ثم لما آمنوا أحرقوا جميعاً في أخاديد النار ، وثبتوا أمام هذه الفتنة العظيمة والابتلاء الكبير ، الذي استرخصوا فيه أنفسهم في سبيل ثباتهم على دينهم[٤] :[وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد][٥].

٤ - **تفرق المسلمين وكثرة اختلافهم** : وهو تحدٍ صعب تواجهه الأمة المسلمة في عصرها الحاضر مصداقاً لقول نبيها e :(فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً)[٦] الحديث .

- ورغم أن الخلاف أمر كوني قدره الله بين الخلق ، وجعله سنة من سنن هذه الحياة ، كما قال تعالى :[ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ¥ إلا من رحم

---

(١) النساء: ١٤١ .
(٢) انظر: معالم في الطريق: ص١٧٥ .
(٣) طه: ٧٠-٧٣ .
(٤) تنظر قصتهم مفصلة في تفسير ابن كثير: ٤/ ٤٩٣-٤٩٥ .
(٥) البروج: ٨ .
(٦) أخرجه أبو داود : كتاب السنة ٤/ ٢٠٠ رقم ٤٦٧٠ ، الترمذي: كتاب العلم ٥/ ٤٤ رقم ٦٢٧٦ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ربك ...][١] الآيات ، إلا أن من الخلاف ما هو سائغ ومقبول يؤجر عليه فاعله ، وهو ما كان في مسائل الاجتهاد التي ليس فيها نص قطعي محكم ، وهناك خلاف محرم مذموم وهو ما كان في أصل الدين ، ويؤدي إلى افتراق الأمة وتقطع أمرها[٢] ، وهذا الذي جاءت النصوص بالتحذير منه ، كما قال تعالى :[ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم][٣] ، وقال عز وجل :[ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم][٤] .

ولا شك أن المخرج من الخلاف المذموم ، هو ما أرشد إليه النبي e بقوله في تمام الحديث المتقدم آنفاً :(فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإنه كل بدعة ضلالة) .

٥ - **التغيرات الفكرية والسياسية والاجتماعية و غيرها** ، إذ يشهد العصر الحاضر تقلبات عامة في الأوضاع ، واضطراباً وعدم استقرار ، وذلك على مستوى العالم كله ، والأمة المسلمة جزء من هذا العالم الذي تموج به الأحداث ، وتتقاذفه الأمواج من كل مكان ، ولعل هذا التحدي هو نتيجة لبعض ما ذكر من التحديات السابقة ، وأكبر مشكلة في هذه التغيرات أنها ترفض أن تنضبط بأي ضابط شرعي أو قيمي ، فهي أشبه بثورة في مواجهة الوضع القائم بشتى صورة ومجالاته ، كما أن مثل هذه التداعيات لا يمكن التنبوء بما تؤول إليه الأمور ، وعليه فمن الصعب أن تعد الحلول المناسبة لمواجهة تحديات مستقبل مجهول .

- تلك أبرز التحديات المعاصرة في وجهة نظري ، والتي ينبغي دراسة كل منها دراسة تفصيلية لمعرفة أسبابها ومن ثم اتخاذ العلاج المناسب للتعامل معها وفق المنهج الشرعي .

---

(١) هود : ١١٨-١١٩ .
(٢) انظر رسالة (أدب الحوار في القرآن والسنة) : ص٩٥-٩٨ .
(٣) آل عمران: ١٠٥ .
(٤) الأنفال: ٤٦ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رابعاً : مسؤولية العلماء كما يصورها القرآن الكريم :

تقدم الكلام عن منزلة العلم والعلماء في القرآن الكريم ، وبناء على تلك المكانة العلية التي جعلها الله للعلماء ، فإن الدور المنتظر منهم عظيم وكبير ، فهم ورثة الأنبياء كما أخبر النبي e [١]، وعلماء هذه الأمة بمنزلة أنبياء بني إسرائيل ، فهم المجددون والموجهون ، وهم حفظة الدين وحماة الشريعة ، فيجب عليهم أن يقوموا بواجبهم خاصة في هذا الزمان الذي تحتاجهم الأمة فيه حاجة ماسة ، في ظل التداعيات والتحديات والاضطراب والفتن والمستجدات .

ولقد جاءت النصوص القرآنية الكريمة ، التي تؤكد هذه المسؤولية ، وتوضح حجم الأمانة الملقاة على عواتقهم ، وبتأمل التحديات المتقدمة آنفاً ، يمكن تلخيص أهم وأبرز ملامح هذه المسؤولية في الآتي :

١ - **تثبيت الأمة على الدين وإرجاعها إلى الأصول والثوابت والمحكمات الشرعية** التي لا يختلف عليها مسلمان ، ولا تقبل الجدل والنقاش ، وهذا يستلزم نشر العلم الشرعي لتحقيق البلاغ المبين ، وتوضيح الحق للعالمين ، وهي مهمة عظمى لا يقوم بها إلا العلماء الربانيون، المخلصون الصادقون ، ورثة الأنبياء والمرسلين ، فهي مهمة الرسل قبلهم ، كما قال تعالى :**[** كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون **]**[٢] .

وكما أن مهمة الرسل تثبيت أتباعهم المؤمنين بتلاوة ما يتنزل عليهم من الوحي العظيم، فتنتقل هذه المهمة إلى ورثتهم من العلماء ، قال تعالى :**[** قل نزّله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا **]**[٣] .

- ومن المعلوم أن هذا الدين القويم له أسس وقواعد بني عليها ، وفيه ثوابت ومحكمات لا تتغير مهما تغير الزمان ، وإليها ترجع أحكام الدين وتفصيلاته ، قال عز وجل :**[** هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات**]**[٤] .

وهنا تأتي مهمة العلماء ، وهنا يتجلى إعجاز هذا الدين ، حيث جعل الله فيه عوامل البقاء والحفظ والدوام ، رغم كل التحديات ، وأهم هذه العوامل هو تلك الثوابت والمحكمات ،

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود (٣٦٤١) ، والترمذي (٢٦٨٣) ، وغيرهما ، وهو صحيح .
(٢) البقرة : ١٥١ .
(٣) النحل : ١٠٢ .
(٤) آل عمران : ٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التي من تمسك بها والتف حولها –مهما كانت الظروف والفتن- عصمه الله من الزيغ والانحراف والضلال ، قال e :(تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتي)[١] .

وفي ظل التداعيات والمتغيرات المعاصرة ، ومع كثرة الأحداث والمستجدات ، وتوالي الفتن والأزمات ، يقع الخلل وتضطرب المفاهيم وتتزعزع الثوابت وتحدث الحيرة لدى عامة الناس ، وهذا حال الفتن التي أخبر به النبي e وكيف أنها تدع الحلم حيراناً ، وقال في شأن تغير القلوب بسببها :(بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا)[٢] .

ولا يعصم الناس ويحفظ لهم توازنهم ويثبت أفئدتهم –بعد توفيق الله- إلا أهل العلم ، ويكون ذلك بإرجاع الناس إلى أصول دينهم ومحكمات شريعتهم التي ضمن الله لها الحفظ والبقاء بقوله تعالى :[إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون][٣] .

٢ - الدفاع عن الإسلام والتصدي للهجمات الموجهة للدين وكشف شبهات المنافقين والمغرضين ، وتوضيح الحقائق للملبس عليهم من المسلمين ، ذلك أن في أزمنة الفتن وبسبب تفشي الجهل وانشغال الكثيرين عن العلم الشرعي الأصيل ، يعمد خصوم الإسلام إلى إثارة الشكوك والشبهات ، ولبس الحق بالباطل وإحداث البلبلة في الصف المسلم ، وهذه الشبهات تجد رواجاً لدى بعض المسلمين وقد يتأثر بها سلبياً ، وهنا يأتي دور العلماء في القيام لله دفاعاً عن دينه وتفنيداً للشبهات والأقاويل ، وفق منهج القرآن الكريم الذي تعقب كثيراً من شبهات المشركين والمنافقين بالأجوبة الصريحة والحجج الدامغة ، ومثال الشبهات التي تثار قديماً وحديثاً ؛ دعوى أن أحكام الشريعة الإسلامية لا تناسب العصر ، وأن للبشر الحق في تشريع الأحكام وسن القوانين والنظم دون الرجوع إلى حكم الله وشرعه .

ولقد جاءت النصوص القرآنية للتصدي لهذه الشبهة ، وبيان أن الذي يملك حق التشريع هو الله وحده ، قال تعالى :[ألا له الخلق والأمر][٤] فهو خالق الخلق وهو أعلم بحالهم ، وبما يصلحهم في دينهم ودنياهم ، قال تعالى :[ألا يعلم من خلق وهو اللطيف

---

(١) تقدم تخريجه في مقدمة البحث .
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١١٨) .
(٣) الحجر : ٩ .
(٤) الأعراف : ٥٤ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخبير][١] ، وقال سبحانه :[قل أأنتم أعلم أم الله][٢] ، كما جاءت آيات أخرى في التأكيد على عالمية رسالة نبينا محمد e ، وأنها لجميع الأزمنة والأمكنة ، ولجميع الشعوب والأجناس كقوله تعالى :[وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين][٣] ، وقوله :(وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً][٤] ، ومقتضى تلك العالمية وذلك العموم أن تشمل هذه الرسالة جميع ما يحتاجه البشر بمختلف أصنافهم واتجاهاتهم ، فجاء التأكيد على ذلك في آيات أخرى كقوله تعالى :[ما فرطنا في الكتاب من شيء][٥] ، وقوله :[ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء][٦] .

وهذا يعني أنه ما من شيء يحتاجه البشر ، وفيه صلاح دينهم واستقامة دنياهم ، إلاّ وأصلُه موضح في الوحي المنزل ، الذي عُصم من التحريف والتبديل ، كما عُصم من الخلل والاختلاف ، ولو ترك الأمر لعقول البشر ، لحصل التباين والتضارب ، كما قال سبحانه :[أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً][٧] ، وقال جل وعلا :[ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن][٨] إلى غير ذلك من النصوص في معالجة هذه الشبهة وغيرها .

٣ - فضح الأعداء وبيان حقيقة العداوة ودرجاتها :

وهذا أمر مهم للغاية في ظل الفتن المعاصرة ، إذ أن من سمات هذه المرحلة كثرة الاختلاف وتباين الآراء ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، وكثيراً ما يؤدي الخلاف في الرأي إلى أنواع من العداوة والخصومة ، وتأتي خطورة الأمر حين ينشغل المسلمون بخلافاتهم الجزئية عن العداوة الحقيقية والخلاف الأعظم مع العدو الأكبر والخصم المشترك .

ولقد وجه القرآن الكريم إلى كشف زيف الأعداء وفضحهم ، كما قال تعالى :[وكذلك نفصّل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين][٩] .

---

(١) الملك : ١٤ .
(٢) البقرة : ١٤٠ .
(٣) الأنبياء : ١٠٧ .
(٤) سبأ : ٢٨ .
(٥) الأنعام : ٣٨ .
(٦) النحل : ٨٩ .
(٧) النساء : ٨٢ .
(٨) المؤمنون : ٧١ .
(٩) الأنعام : ٥٥ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والعداوة الحقيقية بينها الشارع الحكيم ، فهو القائل سبحانه :[والله أعلم بأعدائكم][١] فقد ذكر لنا أن الأعداء الحقيقيين ثلاثة أصناف وهم :

١ - **الشيطان** : قال تعالى :[إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير][٢] .

٢ - **الكفار** : قال تعالى :[إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً][٣] .

٣ - **المنافقون** : قال تعالى في شأنهم :[هم العدو فاحذرهم][٤] .

هؤلاء هم الأعداء حقيقة ، وما عدا ذلك من العداوات الجانبية والخلافات الجزئية ، ينبغي أن تأخذ حجمها الطبيعي ، وألا تطغى على حياتنا ، ولابد من معرفة فقه الخلاف وترتيب العداوات ، وتأجيل كثير من الخلافات ، حتى نحافظ على الأصول والأسس والثوابت التي بدأت تضعف لدى كثير من الناس ، وهذه من مسؤولية العلماء .

٤ - السعي إلى وحدة المسلمين وجمع شتاتهم :

وهو متعلق بما سبق من حيث أن هذه الوحدة لا تتحقق إلا بالاتفاق على أصول وثوابت يقرها الجميع ، ومن حيث تأكيد مفهوم الأخوة الإسلامية وتوضيح حقيقة العداوة ومن هم الخصوم الذين ينبغي أن نتوحد ضدهم ، ونصرف جهودنا لمواجهتهم ، وهذه الوحدة مطلب شرعي أمر الله به في كتابه ونهى عن ضده ، فقد قال سبحانه وتعالى :[واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا][٥] ، وقال سبحانه :[ولا تكونوا الذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم][٦] ، وقال :[ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا][٧] .

وتأتي مسؤولية العلماء في بيان أهمية هذه الوحدة والدعوة إليها والحث عليها ، وتحديد الخطوات العملية لتحقيقها ، وتذليل الصعوبات وعلاج المشكلات التي تواجهها ، وجمع طوائف المسلمين ذوي العقيدة الواحدة ليكونوا صفاً واحداً ، وتنسيق جهودهم في تحقيق المصالح الشرعية لصلاح دينهم ودنياهم .

---

(١) النساء : ٤٥ .
(٢) فاطر : ٦ .
(٣) النساء : ١٠١ .
(٤) المنافقون : ٤ .
(٥) آل عمران : ١٠٣ .
(٦) آل عمران : ١٠٥ .
(٧) الأنفال : ٤٦ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وحتى تتحقق هذه الوحدة تحتاج الأمة إلى تهيئة كاملة ، بدءاً بإيجاد القناعة اللازمة ، ثم تحديد إطار هذه الوحدة وضوابطها ، وفق خطة محددة ، يكون من أبرز معالمها ما يلي :

أ) التأكيد على الغاية التي خلقنا الله من أجلها وهي عبادته وحده لا شريك له ، وإقامة شرعه في هذه الأرض ، حتى يذعن الخلق لربهم ويكون الدين كله لله .

ب) تحديد نقاط الاتفاق ، والالتزام بها ، وهي الأصول والثوابت التي يقوم عليها دين الإسلام، وبفقدها يخرج الإنسان من دينه .

ج) فتح باب الحوار والنقاش في ما يقبل الاجتهاد من المسائل والفرعيات ، للوصول إلى أصوب الأقوال وأسد الآراء ، مع مراعاة اختلاف الأحوال والأفهام .

د) تأجيل النظر في كثير من الخلافات الجزئية ، والتغاضي عنها ، وإعذار المتأول والجاهل وفق المنهج الشرعي .

هـ) تنسيق الجهود الدعوية وتطوير أداء العاملين فيها ، حتى تصب جميعها في أهداف مشتركة ، تساهم في بناء مستقبل الأمة ، وتأخذ بيدها إلى ما فيه عزها وسؤددها .

و) تحديد العدو المشترك والتعاون الجاد في سبيل مواجهته ، وتنقية الصف المسلم ممن يثير العداوات والإحن ويسعى لتفريق كلمة المسلمين .

٥ - بث روح التفاؤل بين المسلمين ، وإشعارهم بعزة الإسلام ، وتذكيرهم بوعد الله سبحانه ونصر دينه وإعلاء كلمته : وهو أمر في غاية الأهمية ، فلابد من التخلص من الهزيمة النفسية التي لحقت بكثير من المسلمين بسبب الأحوال العصيبة التي يعيشها فئام منهم ، ومن ثم التأكيد على أن العاقبة للمتقين ، فمهما طال الأمد واشتد الكرب وعظم الخطب ، واسود الليل ، فإنه لابد من طلوع الفجر ، وانتصار الحق وإزهاق الباطل ، فهذه سنة الله في هذا الكون ، ونصوص الوحي المنزل ، تؤكد هذا وتؤيده ، فقد أخبرنا سبحانه بأنه سيتم نوره ويظهر دينه ويعز جنده المؤمنين ، فقال عز وجل :[يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ¥ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون][1] .

كما وعد سبحانه باستخلاف المؤمنين وتمكينهم في الأرض فقال :[وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم

---

(١) الصف : ٨-٩ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون][١] .

وجاءت نصوص السنة النبوية توضح هذه الوعود وتؤكدها وتحدد بعض ملامحها ، فقد قال النبي e :(ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل ، عزاً يعز الله به الإسلام ، وذلاً يذل به الكفر)[٢] .

ولما شكا خباب بن الأرت إلى النبي e شدة الحال وأنواع التعذيب والتنكيل التي ألحقها المشركون بالمستضعفين من المسلمين وقال :[يا رسول الله : ألا تدعو لنا ألا تستنصر لنا) فكان أن ذكره النبي e بحال من أوذي قبلنا ، ثم قال :(والله يتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون)[٣] .

وأمثال هذه النصوص كثيرة في الكتاب والسنة ، وإخراجها ونشرها وتوضيحها من أهم مسؤوليات علماء الأمة ، حتى نتخلص من حال اليأس والإحباط الذي تلبست به نفوس المسلمين في ظل التداعيات المعاصرة .

---

(١) النور : ٥٥ .
(٢) أخرجه ابن حبان (١٦٣١) ، وهو صحيح (انظر السلسلة الصحيحة : ١/ ٧) .
(٣) أخرجه البخاري : برقم ٣٨٥٢ ، وأبو داود (٢٦٤٩) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خامساً: الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات :

وبعد : فمن خلال استعراض الآيات القرآنية ، المتعلقة بأهمية العلم وبيان منزلة العلماء ثم استعراض أبرز التحديات والتداعيات المعاصرة وتقويمها وفقه المنهج الشرعي ، تبين ثقل الأمانة وعظم المسؤولية التي أناطها الشرع بعلماء الأمة ، فهم الكواكب المنيرة ومصابيح الدجى ، في سماء الليل الحالك ، وعلى العلماء الصادقين أن يراجعوا أنفسهم ويعرفوا قدرهم ويستشعروا مسؤوليتهم ، فآمال الأمة منعقدة فيهم ، وحفظ الدين منوط بهم ، وإنقاذ العباد واجب عليهم ، والناس أمانة في أعناقهم ، وإذا سكت العلماء وتخلوا عن القيام بمسؤوليتهم أو انشغلوا عنها ، فسد دين الناس وخربت دنياهم ، فقد قال e :(الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالماً ومتعلماً)[١] ، ومن هنا كانت هذه الكلمات اليسيرة التي استعرضت فيها بعض ما يتعلق بهذا الموضوع ، وخلصت فيه إلى النتائج والتوصيات الآتية :

١- أهمية العلم الشرعي وعلو منزلته على سائر العلوم والمعارف .

٢- شرف العلماء وعظيم فضلهم ورفعة مكانتهم في دين الإسلام .

٣- كثرة التحديات التي تواجهها الأمة في هذا الزمان ، وتنوع مجالاتها .

٤- أعظم التحديات استهداف عقيدة المسلم وفكره ومنهجه ، وتشكيكه في أصوله ومبادئه وثوابته .

٥- العلماء في هذه الأمة يقومون مقام الأنبياء في الأمم السابقة ، لذا فمسؤوليتهم عظيمة وأثرهم كبير في إصلاح البلاد والعباد .

٦- من أعظم المسؤوليات المناطة بالعلماء: إرجاع الأمة إلى الثوابت والمحكمات الشرعية ، وتأليف القلوب عليها ، ونبذ الخلافات الفرعية والجانبية .

٧- لابد للعلماء أن يميزوا للأمة عدوها الحقيقي ، ويسعوا إلى توحيد الصف المسلم لمواجهته ومدافعته ، حتى يتحقق وعد الله بنصر دين الإسلام وتمكين أهله .

[والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون][٢]

---

(١) أخرجه الترمذي ك: الزهد برقم (٢٣٢٢) ، وابن ماجه ك: الزهد برقم (٤١١٢) ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب برقم ٧١ (١/ ٣٤) .

(٢) يوسف : ٢١ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأخيراً : فهذا جهد المقل ، ما كان فيه من صواب فهو من توفيق الله وفتحـــه ، ومـــا كان من خطأ فمن نفسي والشيطان ، أسأل الله أن يعز دينه وينصر أولياءه عاجلاً غير آجـــل ، والله أعلم ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أهم المراجع

- ابن حجر : أحمد بن علي ، "تهذيب التهذيب" ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة .
- ابن حجر : أحمد بن علي ، "فتح الباري بشرح صحيح البخاري" ، دار المعرفة – بيروت .
- ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، دار إحياء الكتب العربية .
- ابن ماجه : أبو عبدالله محمد بن يزيد ، "سنن ابن ماجه" ، دار الفكر للطباعة والنشر .
- أبو داود : سليمان بن الأشعث ، "سنن أبي داود" ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١٤٠٨هـ .
- أبو عاصي : محمد ، "تاريخية النص القرآني ، تحليل وتعقيب" ، سلطنة عمان ، كلية الشريعة والقانون .
- الألباني : محمد ناصر الدين ، "سلسلة الأحاديث الصحيحة" ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط الثانية ، ١٣٩٩هـ .
- الألباني : محمد ناصر الدين ، "صحيح الترغيب والترهيب" ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط الأولى ١٤٠٢هـ .
- الألباني : محمد ناصر الدين ، "صحيح الجامع الصغير" ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط الثانية ١٤٠٦هـ .
- الألباني : محمد ناصر الدين ، "مشكاة المصابيح" ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط الثالثة ١٤٠٥هـ .
- بن حميد : صالح بن عبدالله ، عبدالرحمن بن ملوح ، "نضرة النعيم" ، دار الوسيلة ، للنشر والتوزيع ، جده ، ط الأولى ١٤١٨هـ .
- الترمذي : أبو عيسى محمد بن عيسى ، "سنن الترمذي" ، مطبعة الحلبي ، مصر ، ط الثانية ١٣٩٧هـ .
- الجرجاني : علي بن محمد ، "كتاب التعريفات" ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- الجوهري : إسماعيل بن حماد ، "الصحاح" ، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار ، دار العلم ، بيروت ، ط الثالثة ١٤٠٤هـ .
- الحاكم : الحافظ بن عبدالله ، "المستدرك" ، دار المعرفة ، بيروت .
- الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد ، "سير أعلام النبلاء" ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط الثانية ١٤١٢هـ .
- الراغب الأصفهاني : "مفردات ألفاظ القرآن" ، دار القلم ، دمشق ، ط الثانية ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- زمزمي : يحيى محمد ، "الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة" ، دار التربية التراث ، مكة المكرمة ، ط ١٤١٤هـ-١٩٩٤م .

- الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير ، "جامع البيان في تأويل القرآن" ، دار الكتب العلمية ، ط الأولى ١٤١٢هـ .

- عبدالباقي : محمد فؤاد ، "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، دار الحديث .

- قطب : سيد ، "معالم في الطريق" ، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .

- مسلم : أبو الحسين بن الحجاج ، "صحيح مسلم" ، دار الفكر للطباعة ، بيروت .

- المقري : أحمد بن محمد الفيومي ، "المصباح المنير" ، مكتبة لبنان .

- النووي : يحيى بن شرف ، "الأربعين النووية" ، مؤسسة الطباعة ، جده ، ١٤٠٣هـ .

- النووي : يحيى بن شرف ، "رياض الصالحين" دار المأمون للتراث ، ط الرابعة ١٤٠١هـ.

- الهلالي : سليم بن عيد ، "الجامع المفهرس" ، دار ابن الجوزي ، ط الثانية ١٤١٧هـ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهرس الموضوعات

- تمهيد ٢
أولاً : مقدمة وتعريفات ٤
أ) مقدمة ٤
ب) تعريفات ٥
ثانياً : أهمية العلم الشرعي في القرآن الكريم ٦
١ - الأمر بالعلم ، والحث عليه ٦
٢ - رفع شأن العلماء ٦
٣ - العلم صفة الأنبياء والمرسلين ٧
٤ - العلم صفة المؤمنين العارفين الراسخين ٧
ثالثاً : أبرز التحديات المعاصرة وتقويمها في ضوء القرآن الكريم ٩
١ - الهجوم على ثوابت الدين ومحكماته ، والتشكيك في أسسه ومسلماته ٩
٢ - افتتان كثير من المسلمين بعدوهم ١٠
٣ - تسلط الأعداء عسكرياً واحتلالهم السافر لعدد من بلاد المسلمين ١١
٤ - تفرق المسلمين وكثرة اختلافهم ١٢
٥ - التغيرات الفكرية والسياسية والاجتماعية وغيرها ١٣
رابعاً : مسؤولية العلماء كما يصورها القرآن الكريم ١٤
١ - تثبيت الأمة على الدين وإرجاعها إلى الأصول والثوابت ١٤
٢ - الدفاع عن الإسلام والتصدي للهجمات ١٥
٣ - فضح الأعداء وبيان حقيقة العداوة ودرجاتها ١٦
٤ - السعي إلى وحدة المسلمين وجمع شتاتهم ١٧
٥ - بث روح التفاؤل بين المسلمين ١٨
خامسا : الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات ٢٠
- أهم المراجع ٢٢
- فهرس الموضوعات ٢٤

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com